العجوز والفولة

يُحْكَى أَنَّ فَلَّاحًا كَانَ يعيشُ فِي إِحْدَى الْقُرَى ، وَكَانَ فقيرًا جِدًّا ، لا يَمْلِكُ سِوَى قِطْعَةٍ صغيرَةٍ مِنَ الأَرْضِ كَانَ يَزْرَعُهَا فولاً لِقُوتِهِ وَقُوتِ زَوْجِهِ . وَفِي إِحْدَى السِّنِينَ لَمْ تُنْتِجِ الأَرْضُ إِلاَّ مِلءَ زَكِيبَةٍ وَاحِدَةٍ فُولاً . وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ عَلَى هٰذَا الْقَدْرِ مِنَ الْفُولِ طُولَ الْعَامِ ، وَلٰكِنَّهُ رَغْمَ تَدْبِيرِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ نَفِدَ الْفُولُ ؛ وَبَيْنَمَا هُوَ يَطْوِي الزَّكِيبَةَ الْفَارِغَةَ لِيَحْفَظَهَا لِلْمَوْسِمِ التَّالِي ، إِذْ سَقَطَتْ مِنْهَا فُولَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا .

وكان يجمع الأوراق كل يوم .

فَنَادَى زَوْجَهُ قَائِلاً : « تَعَالَيْ انْظُرِي هٰذِهِ الْفُولَةَ الْغَرِيبَةَ ! سَأَزْرَعُهَا لِأَرَى مَاذَا يَخْرُجُ مِنْهَا . » وَغَرَسَ الرَّجُلُ الْفُولَةَ فِي الأَرْضِ . وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي رَأَى مَكَانَهَا شَجَرَةَ فُولٍ ضَخْمَةً عَالِيَةً ذَاتَ سَاقٍ وَاحِدَةٍ . فَدُهِشَ الرَّجُلُ وَأَخَذَ يَتَسَلَّقُ السَّاقَ لِيَرَى مَا بِهَا ؛ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ سِوَى الأَوْرَاقِ . وَأَسْرَعَ إِلَى زَوْجِهِ وَأَنْبَأَهَا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . فَقَالَتْ لَهُ : « حَسَنًا ، نَجْمَعُ الأَوْرَاقَ وَنَسْلِقُهَا لِنَأْكُلَهَا ، فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ لاَشَيْءٍ . » وَصَارَ الرَّجُلُ يَجْمَعُ كُلَّ يَوْمٍ وَرَقًا مِنَ الشَّجَرَةِ لِقُوتِهِ . وَذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَمَا كَانَ يَجْمَعُ الأَوْرَاقَ كَعَادَتِهِ ، إِذِ اهْتَزَّتِ الشَّجَرَةُ اهْتِزَازًا عَنِيفًا . وَدَوَتْ فِي الْمَكَانِ أَصْوَاتٌ كَالرَّعْدِ . فَازْدَادَ الرَّجُلُ تَشَبُّثًا بِالشَّجَرَةِ لِشِدَّةِ وَجَلِهِ ، وَتَلَفَّتَ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْيَسَارِ لِيَرَى مَصْدَرَ الصَّوْتِ . فَرَأَى طَيْفَيْنِ هَائِلَيْنِ يَتَحَادَثَانِ . وَلَمَّا أَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ بَيْنِ الأَوْرَاقِ ، ابْتَسَمَ الطَّيْفَانِ لَهُ ، وَاقْتَرَبَا مِنْهُ . وَخَاطَبَهُ أَحَدُهُمَا قَائِلاً : « احْكُمْ بَيْنَنَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الصَّغِيرُ ! أَنَا الصَّيْفُ ، وَهٰذَا أَخِي الشِّتَاءُ . فَأَيُّنَا أَفْضَلُ ؟ » وَفَكَّرَ الرَّجُلُ قَلِيلاً ، ثُمَّ أَجَابَ : « لَيْسَ مِنْكُمَا مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ أَخِيهِ ! فَأَنْتَ يَا صَيْفُ تُعْطِينَا الشَّمْسَ وَتُنْضِجُ الْقَمْحَ وَالْفُولَ ، وَأَنْتَ يَا شِتَاءُ تُمْطِرُنَا الْمَاءَ لِلرَّيِّ ، فَكِلاَكُمَا ضَرُورِيٌّ وَلاَ غِنَى لِلْحَيَاةِ عَنْكُمَا . » وَسُرَّ الاِثْنَانِ لِهٰذَا الْجَوَابِ الْحَكِيمِ . وَقَدَّمَ لَهُ أَحَدُهُمَا إِنَاءً مِنَ الْفَخَّارِ قَائِلاً : « هٰذَا هَدِيَّةٌ إِلَيْكَ ، فَاطْلُبْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . » وَأَخَذَ الرَّجُلُ الإِنَاءَ وَأَسْرَعَ إِلَى زَوْجِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهَا كُلَّ مَا جَرَى ، ثُمَّ وَضَعَ الإِنَاءَ عَلَى الْمَائِدَةِ وَقَالَ : « هَاتِ لِي غَدَاءً فَاخِرًا ! » وَفِي الْحَالِ ظَهَرَ قِرْصٌ صَغِيرٌ جِدًّا ، ثُمَّ اخْتَفَى وَعَادَ يَحْمِلُ مَائِدَةً وَطَابَ مِنْ أَلْوَانِ

الطَّعَامِ . وَأَكَلَ الرَّجُلُ وَزَوْجُهُ . وَظَلاَّ هٰكَذَا ، يَطْلُبَانِ مِنَ الإِنَاءِ كُلَّ مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ .

الطيفان : الصيف والشتاء

وَكَانَ لَهُمَا ابْنٌ الْتَحَقَ بِالْجَيْشِ وهو صغيرٌ ، وَحَازَ فيه مَرْكَزاً سَامِياً لِشَجَاعَتِهِ وَذَكَائِهِ . وَعَادَ الِابْنُ فِي إِجَازَةٍ لِزِيَارَةِ أَبَوَيْهِ . فَسُرَّ كَثِيراً لِمَا رَأَى فِي حَيَاتِهِمَا مِن مَظَاهِرِ الْيُسْرِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ . وَخَطَرَ لِلْأُمِّ ، بَعْدَ أَنْ تَبَدَّلَ الحالُ مِنَ الْعُسْرِ إِلَى الْيُسْرِ ، أَنْ تُزَوِّجَ ابنَها بِنْتَ الأَمِيرِ صاحبِ الضِّيَاعِ الْمُجَاوِرَةِ . فَقَصَدَتْ قَصْرَهُ تَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِهِ لِابْنِهَا . فَلَمَّا سَمِعَ بِحَاجَتِهَا ابْتَسَمَ هَازِئاً وقال : « إِنِّي لاَ أَسْمَحُ بِزَوَاجِ ابْنَتِي إِلاَّ لِمَنْ يُقَدِّمُ لَهَا قَصْرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ » وَقَصَدَ الأَمِيرُ بِذٰلِكَ إِعْجَازَهَا . وَلٰكِنْ لَشَدَّ مَا كَانَ دَهَشُهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي حِينَ أَطَلَّ مِنَ النَّافِذَةِ ، فَرَأَى بِجَانِبِ قَصْرِهِ قَصْراً آخَرَ من ذهبٍ وَفِضَّةٍ . وَأَدْرَكَ أَنَّهُ هو القَصْرُ الذى طَلَبَهُ لِابْنَتِهِ ، فَصَمَّمَ أَنْ يَعْرِفَ سِرَّ هذه الْقُدْرَةِ الخارقةِ التى اسْتَطَاعَتْ بِهَا الْمَرْأَةُ أَنْ تُشَيِّدَ ذلك القَصرَ بِتِلْكَ السُّرْعَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَى الضَّابِطِ وَوَالِدَيْهِ يَدْعُوهُمْ لِلْعَشَاءِ

القزم الصغير يجرى مسرعاً لاجابة الطلب

مَعَه . وَجَلَسَ الْجَمِيعُ إِلَى الْمَائِدَةِ يَتَنَاوَلُونَ الْعَشَاءَ وَيَتَسَامَرُونَ ، الأَمِيرُ مَعَ الْفَلاَّحِ ، والأميرةُ مع الأُمِّ ، والأميرةُ الصغيرةُ مَعَ الْفَتَى الضَّابِطِ ! وَافْتَضَحَ سِرُّ الإِنَاءِ ! ! وَلاَ نَدْرِي مَنِ الذِي بَاحَ بِه ! وَلَمْ تَنْقَضِ اللَّيْلَةُ حَتَّى كَانَ الإِنَاءُ قَدِ اخْتَفَى وَوُضِعَ مَكَانَهُ إِنَاءٌ آخَرُ مِنَ الْفَخَّارِ مُشَابِهٌ لَهُ .

وَفِي الصَّبَاحِ طَلَبَ الرَّجُلُ مِنَ الإِنَاءِ ، كَعَادَتِهِ ،

أَنْ يُحْضِرَ فَطُوراً ! ! وَلٰكِنَّ الْقَزَمَ لَمْ يَظْهَرْ وَلَمْ يُلَبِّ النِّـــداءَ ، فَخَرَجَ إِلَى شَجَرَةِ الْفُولِ يَجْمَعُ الأَوْرَاقَ لِيَأْكُلَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَوَّلَ الأَمْرِ . فَإِذَا بِهِ يَرَى الطَّيْفَيْنِ مِنْ جَدِيدٍ . وَخَاطَبَهُ أَحَدُهُمَا قَائِلاً : « أَيُّهَا الإِنْسَانُ الصَّغِيرُ ! لِمَ عُدْتَ إِلَى جَمْعِ الأَوْرَاقِ ؟ ؟ أَلَمْ أُعْطِكَ الإِنَاءَ الذى يُغْنِيكَ عن هذا ؟ ؟ » فقَالَ الْفَلاَّحُ أَسِفاً : « لقدْ فَقَدْتُ الإِنَاءَ يا سَيِّدِى ! »

فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الطَّيْفُ الثَّانِى ، وَقَالَ : « لاَ تَبْتَئِسْ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الصَّـــغِيرُ سَأُهْدِى إِلَيْكَ بَدَوْرِى هذه الْمُكَّارَةَ . إِذَا قُلْتَ لَهَا : أَعْطِنِى مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، أَعْطَتْكَ مَا يَكْفِى . وَإِذَا قُلْتَ لها : قِفِى . وَقَفَتْ . » فَشَكَرَهُ الرَّجُلُ وَأَخَذَ الْمُكَّارَةَ وَأَسرَعَ إِلَى زَوْجِهِ وَأَخْبَرَهَا بِمَا كَانَ . وَوَضَعَ الْمُكَّارَةَ عَلَى الْمَائِدَةِ وَقَالَ لَهَا : « أَعْطِنِى مَا أَحتَاجُ إِلَيْهِ . » وَكَانَ يَتَوَقَّعُ فَطُوراً شَهِيًّا بِدُونِ شَكٍّ ، وَلٰكِنْ مَاذَا حَدَثَ ؟ هَبَّتِ الْمُكَّارَةُ وَانْقَضَّتْ عليه ، وَأَخَذَتْ تُلْهِبُهُ ضَرْباً ، لَوْلاَ أَنَّهُ صَاحَ : « قِفِى ! » فَوَقَفَتْ . وَعِندها قالَ فِى نَفْسِهِ : « لَيسَ هَذا بِالْفَطُورِ الذى كُنْتُ أَحتَاجُ إِلَيْهِ . وَمَعَ ذلك فَلاَ بُدَّ أَنْ أَسْتَفِيدَ من هـذه الْمُكَّارَةِ ! » ثم الْتَفَتَ إِليها ثانيةً وَقالَ لها : « أَعْطِ سَارِقَ الإِنَاءِ مَا يَحْتَاجُ إِليه . » فَاخْتَفَتِ الْمُكَّارَةُ وَظَلَّ هُوَ يَتَرَقَّبُ ، حَتَّى سَمِعَ هَرْجًا وَصِيَاحًا . فَخَرَجَ لِيَرَى مَا الْخَبَرُ ، فَوَجَدَ الأَمِيرَ يَجرِى وَالإِنَاءُ

الأمير وزوجه والمكارة تضربهما ضرباً مؤلما

بِيَدِهِ وَزَوْجُهُ بِجَانِبِهِ ، وَالْمُكَّارَةُ تَضْرِبُهُمَا ضَرْباً مُؤْلِمًا وَتَدْفَعُهُمَا دَفعاً نَحْوَ مَنْزِلِ الْفَلاَّحِ .

وَلَمَّا اسْتَرَدَّ الْفَلاَّحُ الإِنَاءَ قَالَ لِلْمُكَّارَةِ : « قِفِى . » فَوَقَفَتْ . وَاعْتَذَرَ الأَمِيرُ وَزَوْجُهُ عَمَّا صَدَرَ مِنهُمَا . وَقَبِلاَ عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ زَوَاجَ ابْنَتِهِمَا مِنَ ابْنِ الْفَلاَّحِ ؟